(١٩)

لا أنا ولا أنت ولا هو
ولكنها الحياة وذكر الله

حديث الجمعة

٥ رجب ١٣٨٠ هـ - ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ م

أنا.. أنتَ.. هـو.. أنا.. أبي.. جـدي

أنا.. أنتِ.. هـي.. أنا.. أمي.. أبـي

ثلاث ضمائر في ثلاث ضمائر.. ثلاث خلائق لثلاث حقائق.

هذا الثالوث من الضمائر ومن الخلائق ومن الحقائق يجتمع في كائن واحد هو الإنسان، هو عبد ورب وغيب. عبد في المتحدث بأنا، رب في مخاطب بأنت، غيب لمعروف بهو.

أنا.. أنت هو.. هـو.. أنت أنا.. أنت.. هو أنا.. {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}[١]، إن فنى مما عليها كل ما غيره وبقي عليها كل ما وجهه. تخاطب من عليها أنا هو أنت. وأنت هو أنا. وأنا وأنت هو. وهو أنا وأنت. تعارفت القلوب إلى القلوب وتعارفت الضمائر إلى الضمائر، وعنون الناس رب الناس، وقام الناس برب الناس، وكان الناس إله الناس. إلى ربك منتهاها. توحد الناس فتوحد الله، إن توحدوه فوحدوه، فقام ما جاء من الحق {قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس}[٢]..

ما عرف الناس من ربهم مجهولا، وما عرف الناس من ملكهم مجهولا، وما عرف الناس عن قدسهم مجهولا، فرب الناس بين الناس وفي الناس، وملك الناس على الناس ومن الناس، وإله الناس في الناس وفوق الناس وبين الناس.

يا من نسوا أنهم الناس، وعرفوا أنهم في رب الناس ومن رب الناس.. يا من عرفوا أنه الناس وأن فيهم رب الناس.. احمدوا الله رب العالمين مالك يوم الدين، واعلموا أنه يأتي الأرض ينقصها من أطرافها، وأنه يرفع إلى معانيه بيوتا منها. خاطبوه في أنفسكم حاضرا لا غائبا. قولوا له إياك نعبد وإياك

نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. فهو قائم على كل نفس بما كسبت، ومن وراء كل نفس محيط، وأقرب إليكم من حبل الوريد. إنه يلحقكم ويتخللكم بلطيفه ويستخلفكم بتنزيهه وتشريفه.

ليس في داركم ظاهر معنى للنعيم. فما أنعم في داركم بنعمة إلا في القلب.. لا تدرك، وعلى القالب لا تظهر، وبه لا تقوم، فكيف نشهد منحة الله في المنعم عليهم من الله إلا في تحسس وتلمس ما في الناس من تخلق بأخلاق الله. أخفاهم في الناس؟

إن رسول الله ما كان أسوة للناس يتأسون بها وقدوة للناس يقتدونها لأنه في ظاهره من الجسد، أو فيما يظهر على جسده مما في قلبه، ظاهرا بما يغاير الناس، وبما يميزه عن الناس بين الناس. ولكن الذي ظهر به إنما هو حسن الخلق.

فأنت في حاضرك إنما تقوم في هذا الحاضر بأنانيتك. فأنا منك هو حاضرك وأنت منك هو ماضيك، وهو منك هو مستقبلك.. إن الرحلة من ماضيك إلى مستقبلك عبر حاضرك. فإذا لم يسجد ماضيك لحاضرك ما سجد حاضرك لمستقبلك.

لقد تحدثت إليكم كثيرا أن الإنسان عبد ورب في نفسه، وشرف عبده في نفسه لا يقل أبدا عن شرف ربه في نفسه - إن لم يزد -. إن العبد والرب فيك يجمعهما أنا واحد هو معاني الإنسان إذا كانت لك في أنانيتك. إذا كان ماضيك حقيقة، هو الرب في الحقيقة كان حاضرك هو العبد. وإذا كان ماضيك حقيقة هو العبد في الحقيقة كان حاضرك هو الرب. فإذا كنت بحاضرك وماضيك عبد ورب، أو رب وعبد كان مستقبلك هو الإنسان الذي يجمع معاني العبد والرب.

أما إذا كان ماضيك لم يقم فيه معاني الرب أو العبد وطلبت معنى الإنسان المستقيم لمستقبلك، فيجب أن تُسجد هذا الماضي لأنانية الحاضر المقيم المقوم حتى تهيئ السبيل لبعثه في المستقبل بمعان في الإنسان الجامع الذي ترجو بمعاني العبد، وتهيئ للحاضر ارتقاء السلم بمعاني الرب.

هذا الذي أقول ما يُدَرِّكه لنا القرآن في عبارات صريحة وهو يقول {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[٣]. ويضرب مثلا لفعله وهديه فيقول لرسوله: {واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق}[٤]. إن آدم بالحق أحاط بآدمين نشآ منه، وقام بآدمين أنشأهما له. وأنشأهما فيه ليعلم وليتعلم وليُعلم بما عَلم. اضرب لهم مثل ابني آدم بالحق.. إن آدم تُوفى بالحق، وقام في الحق، إنه تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ثم اجتباه إليه ربه وهدى، فأصبح آدم بالحق.. وقام فيه كلمتان.. قام فيه شجرتان.. كانا فيه ولدان.. كانا فيه آدمان قدما لربهما قربانا.. قدما لأبيهما من العمل ما يرونه صالحا، فرآه من أحدهما صالحا مقبولا بما هو متكشف له من طويته محيطا به، ولم يره من الآخر صالحا وقد كان عين العمل وصورته. فكتم

حكمه وأضاف الحكم إلى غيبه فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر لأنه وإن أظهر ما أظهر أخوه إلا أنه أبطن غير ما أبطن أخوه.

كلنا يريد أن يكون آدم الحق.. ألسنا أولادا لآدم؟! وقد كرم الله أبناء آدم وبشرهم أنه آخذ من ظهورهم ذريتهم ومشهدهم على أنفسهم وجاعل منهم العبد والرب، ولكن الآن من أي الولدين نبتنا؟ وفي أي الولدين تجددنا؟ كلنا أحفاد لآدم ولكننا أبناء لمن لم يتقبل منه.. ألم يتصارع الولدان! ألم يتشاجر الآدمان! ألم يقل أحدهما لأخيه: إن مددت يدك إليَّ لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين؟ وامتدت يد أبينا إلى أخيه فقتله. أمر قامت به فطرة القتل بين أحفاد آدم حتى يبعث لهم أبوهم بالسلام بينهم. بقي القاتل يتزوج ويلد، وذهب المقتول إلى عالم جديد.. في لباس من خلق جديد. ذهب المقتول وهو المرضي عنه إلى الراضي عنه.. إلى أبيه، لجدده فيه. فتجدد آدما فيه، آدم بالحق، فكان بذلك قانون الحياة من الموت. كل من ثكل نفسه، كل من قتل نفسه فقد أحيا الناس جميعا. كل من قتله أخوه في صراع على الحق، ذهب فيه شهيد الحق. رجع لآدم بالحق، فتواجدت الأرواح في آدم الحق أوادم حق، وتكاثرت الأشباح على الأرض في عالم الظلام أهل ظلام.. لا يغير الله ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وبذلك كانت الأرض دار عمل واختبار وتغيير لقتل النفس وإحياء القلب، وتطوير الذات، لمن لا دار له، ولمن لا مال له، ولمن لا رب له.

وبذلك قال رسول الله، (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)°مشيرا إلى أنكم بذواتكم التي تدبون بها على الأرض ما أنتم إلا تكاثر هذا الابن العاق الذي لم يقبل عمله وولده، ولم يحسن في الله أصله وأنتم عمله وأصله. اقتلوا أنفسكم ليتوب عليكم وعليه بكم، موتوا قبل أن تموتوا، موتوا عن أنانيتكم لتتحرر أرواحكم وتترمل نفوسكم، فتعودوا إلى أبيكم بالحق متحررين طلقاء من أوزار ذواتكم. إن سوءتكم إنما هي أنانية نفوسكم فداروا سوءتكم بقتلها في مقبرة ذواتكم.

إن الذين لا يقتلون أنفسهم ولو كانوا الأنبياء لا يعرفون طريقهم إلى الحقيقة، ولا يعرفون طريقهم إلى الإنسان، ولا يعرفون طريقهم إلى آدم بالحق. وما هي أنفسهم التي يقتلون؟ أذواتهم التي بها يكسبون؟ ونارهم التي بها يتحركون؟ وعقولهم التي بها يدبرون؟ لا يا سيدي.. إن نفوسهم التي يطلب منهم أن يقتلوا إنما هي ماضيهم، إنما هي نسبة أنفسهم في حاضرهم إلى أنفسهم من ماضيهم وهم مواليد الفطرة اليوم. فما كان ماضيهم إلا الشيطان، وما كان ماضيهم إلا الغفلة والنسيان، وما كان ماضيهم إلا الزور والبهتان. ما كان ماضيهم من العرفان، ما كان ماضيهم إلا النكران. لم يكن ماضيهم كمال الإحسان أو شيئا من الإحسان. أليسوا هم عمل ذلك الابن الذي لم يقبل منه عمله؟ أليسوا

هم أبناء ذلك الابن أصل الأسرة في بني الإنسان والقاتل لأصل الفدية في أبنائه؟! أليس أبوهم مصدر الأثرة القاتل لمصدر الغيرية؟

أليس هذا مدركا لهم في غرائزهم، وفي صفاتهم، وفي أحوالهم، وفي بصيرتهم، وكل نفس على نفسها بصيرة وإن أبدت عن سوءاتها معاذير؟ إن الماضي يشعر بملكيته للحاضر ويراه عمله، وهذا ما عناه عيسى من عبارته: هذه الدار مملكة الفتان أو مملكة الشيطان، وقد تمثل الماضي في العاق من الولدين، ولكن هذا الماضي له ماض كان هو عمله أيضا. إن الحق لا يتصف بصفات الماضي ولا بصفات الحاضر أو المستقبل. وبذلك كانت دعوى الماضي بملكيته الحاضر نقصا في الوعي، كماله إدراك استمرار الماضي في عالم الحاضر لمواصلة العمل أو تجديده لإعطاء الفرصة للجديد لتحقيق ما فات القديم.

إن قتل النفس إنما هو قطع حاضر النفس من شجرة ماضيها بمولد الفطرة اقتلوا أنفسكم، {فصلِ لربك وانحر}[٦]، لا تواصلوا التواجد مرتبطين بالشجرة الخبيثة التي ستجتث من فوق الأرض يوما فما لها من قرار. ازرعوا أنفسكم في الشجرة الطيبة المباركة التي لها البقاء على الأرض والتي فرعها في السماء. تابعوا رسل الله، لبوا نداء الله من أنفسكم، اقرأوهم كتب الله بينكم، اقرأوها كلما جاءتكم في ذكر محدث من ربكم، رسولا من أنفسكم قتل نفسه وزرع نفسه.. قتلها وقطعها من ماضيها من سوءة أصله المادي وإن صلح، وزرعها في الشجرة الطيبة رآها في الروح المستشهد فأمسك بها، وتعلق بها، وزرع نفسه فيها، فكان غصنا منها امتد إلى السماء، قطوفها له دانية وارتد إلى الأرض قطوفها به دانية...

رأى الحياة جنتان، رأى الحياة جنانا في جنان من جنان.. ورأى العذاب والفناء والعدم في الحرمان. استيقظ فأذَّن لليقظة وصَلَّى بالصلة فأذَّن للصلاة. لبى النداء فعرف المنادي، فنادى. نادى للصلاح. نادى للفلاح. نادى للحجيج.

أذن في الناس بالحج.. فلبته السموات، واستجابت لندائه الأرواح قبل الأشباح. إنه ابن الروح، وابن روح الروح قبل أن يكون ابنا للأرض. إنه ابن الحياة، وابن حياة الحياة. إنه الحياة. إنه الإنسان وابن الإنسان. إنه آدم وابن آدم. إنه إنسان آدم وآدم الإنسان. إنه الآدمية. إنه الإنسانية. إنه الروحية. إنه الروح. إنه السبوح. إنه الإنسان. إنه ابن الإنسان. إنه عبد الرحمن. إنه وجه الرحمن. إنه عبد الله. إنه ذكر الله. إنه خلق الله. إنه وجه الله. إنه الحق من الله. إنه روح الوجود. إنه سر الوجود. إنه رسول المعروف الموجود...

هل أدركت طلعته؟ هل دخلت مدينته؟ هل عرفت رسالته؟ هل استقبلت قبلته؟ هل طرقت منه فيك بابك؟ هل كشفت عنك منك عنه حجابك؟

إنه أنت.. إنك هو.. إنه أناك.. إنك أناه.. إنه عبد الله.. أنا.. هو.. أنت. أنت.. هو.. أنا.. هو.. أنا.. أنت. هو وأنا فيك أنت. أنا وأنت فيه هو. هو وأنت في أنا. أنا وهو فيك أنت. لا أنا ولا أنت ولا هو، ولكنه ذكر الله فينا، وذكر الله لنا، وذكر الله بنا. ولن يُعرف ذكر الله لنا ما دام فينا أنا وهو وأنت...

فلا حاضري، ولا ماضي، ولا مستقبلي.. ولكنها الحياة..... تناسى ماضيك بأنت، وتناسى حاضرك بأنا، وتناس قابلك بهو، واذكر الحياة. إن الحياة تجمعك بماضيك وحاضرك وقابلك. اعرف الحياة تعرف ماضيك وحاضرك ومستقبلك. اعرف الحياة تعرفك الحياة. وإن عرفتك الحياة عرفت الحياة. فلا حاضر ولا ماضي ولا مستقبل لك.

إنك يا أخي. إنك يا أنا. إنك يا هو. إنك في هذه الدار وفي هذه الحياة، تحيا وأنا معك وهو معنا فيما قبل الحياة.. ولا أقول نحيا أو أحيا أو يحيا، بل أقول نتواجد فيما قبل الحياة.. لا ولا أقول نتواجد بل أقول نحيا فيما قبل التواجد. لا أدري ماذا أقول إلا أن الحياة في التواجد وأن التواجد في الحياة. فما حيا من لم يتواجد وما تواجد من لم يحيا.

إننا في هذه الدار نرسم لأنفسنا الحياة والتواجد يوم تسدد خطانا، ونوفق إلى سبيل الحياة والتواجد، ونطرق طريق الحياة والتواجد. وما الحياة والتواجد على ما علَّمنا رسول الله إلا أن نقف أمام معناه بابا نطرقه لطريق الله.. بابا لمدينة العلم عن الله. لا نعلم عن الله ما لم ندخلها. إذا لم ندخلها فلن نعلم عن الله. وإن دخلناها فلن نجهل عن الله.

هذه هي الحياة، وهذا هو التواجد، وهذه هي طريق الحياة والتواجد. فأين رسول الله؟ وكيف رسول الله؟ ومتى رسول الله؟ ومن رسول الله؟ هذا هو فقه دين الله. إذا لم نفقه في رسول الله، فإنا لا نعرف الطريق إلى طريق الله. وإذا لم نعرف الطريق إلى سبيل الله فقد ضللنا السبيل وما دخلنا في دين الله، ما دخلنا في دين كتاب الله، وما كنا في دين رسول الله.

يقولون إن محمدا خاتم النبيين. نعم هو خاتم النبيين وجماع الدين. ولكن هل عرفتم لماذا وصف محمد بخاتم النبيين؟ نعم عرفنا لأنه لا نبي بعده. وهل عرفتم لماذا لا يكون هناك نبيون بعده؟ إنه لا نبيون بعده حقا لأن الله قال له {إنا أعطيناك الكوثر}[٧] {إن شانئك هو الأبتر}[٨] كيف يكون هناك نبيون بعده وهو نبي متكاثر لا يغيب؟ وهو متكاثر لا ينقطع تكاثره في الساجدين، ولا يختفي عن الطالبين؟

إن شانئه هو الأبتر! إنه يتكاثر بذاته، إنه يتكاثر بمعناه، إنه يتكاثر بروحه، إنه يتكاثر بعلمه، إنه يتكاثر بأسمائه، إنه يتكاثر بصفاته، إنه يتكاثر بآلاء الله، إنه يتكاثر بنعمة الله، إنه يتكاثر بحق الله، إنه يتكاثر بانتشار نور الله، إنه يتكاثر بقدرة الله، إنه يتكاثر بعزة الله، إنه يتكاثر بعباد الله، فكيف يكون هناك نبي من بعده، وهو هذا كله؟ وهو بهذا كله قائم عامل لا يغيب ولا يهدأ. فإن كنتم قد جهلتم فيه هذا كله ثم تقولون لا نبي بعده وأنتم المسلمون! فسبحان الله! ألكم عقول أنتم؟! ألكم وأنتم المسلمون قلوب؟! ألكم نفوس؟! ألكم وجود؟! ألا ينبض فيكم عرق بالحياة فقدتموها؟! ألا تتأسفون على فقدان الحياة وأنتم تسمعون أخبارها وتتناقلونها جيلا بعد جيل؟! ألا تدركون ما لحقكم من الموت، وقد كنتم أمواتا فأحياكم؟!

كيف لا يكون نبي بعده وهو كل الأنبياء؟ كيف يكون لا نبي بعده والأنبياء يبعثون في أمته من بعده علماء؟ وقد آمنوا به أرواحا لذاته أتباعا، وكل طالب لله من عهد آدمه يبعث في قومه من إنسانيته على طلبه من الله، وما قومه وإنسانيته إلا الناس جميعا من بعد ظهوره بينهم بالحق في شبحيته ذاتا من الخلق. كيف لا يكون نبي من بعده والأنبياء من بعده لا عد لهم، ولا حصر لهم؟

أين هم الأنبياء من قبله أمام قيم الأنبياء من بعده؟ ماذا حَصل الأنبياء من قبله، أمام حصيلة الأنبياء من بعده؟ ألم يقل لكم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[9] ؟ إذا كان الأنبياء في بني إسرائيل لم ينقطع خبرهم وتواجدهم، فكذلك العلماء في أمته من بعده لا ينقطع خبرهم وتواجدهم. ولكن الأنبياء في بني إسرائيل دونهم، لقد خاض العلماء من بعده بحرا وقفت الأنبياء بساحله. ما قال الله "شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، والأنبياء أو الرسل، أو الأولياء"، ولكن قال {شَهد الله أنه لا إله إلا هو وأُلو العلم...}[10]...

إن أولي العلم عند الله فوق مقامات النبوة أيها الناس. إن مقام العبودية لله وهو العلم والقرب فوق مقام الرسالة أيها الناس.

(يجادلون في الله بغير علم)[11]. لقد جعل الجدل في الله بالعلم أرقى مراتب البلاغ والإنباء والوعي، ودونها الهدي والاستقامة ودون الهدي الكتاب المنير. والرسول يقول علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل لأن الناس أكبروا معاني الأنبياء، وجاراهم الرسول على الخطأ المشهور رغبة في اليقظة لهم حتى تستيقظ نفوسهم وتتنبه عقولهم. فإذا استيقظت ولحقها من الله لاحق فقد عرفت وشرفت. ألم يقل لهم النبي ما أعطيته فلأمتي!

إن محمدا بلغ علما، واختار أناسا لعلم، واحتفظ لنفسه بعلم في ظاهر فعل الرسول، وفي ظاهر قيام الرسول. ولكن الله ورسوله ما رفضا طلب طالب لهما، ولا أيأسا راجي فيهما منهما. ولكن الرسول أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، فخاطب الناس على قدر عقولهم، وأمر بدوره مدركيه لأنفسهم بمخاطبة الناس على قدر عقولهم عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا.

إن الرسول كان خاتم النبيين وأول العابدين، فأين النبيء من العبد عم ينبئ النبي؟ ولمن يقوم العبد؟ وهل انحدر النبي من النبوة إلى العبودية أم ارتفع من النبوة إلى العبودية؟ هل مسخ على مكانة من النبوة وهو خاتمها إلى العبودية وهو أولها فكان أول الانحدار بأول العابدين؟ أم محيت النبوة بوجوده وهو خاتمها إلى مرتقاها من العبودية وهو أولها؟

أين النبوة من العبودية؟! إن الأنبياء ما حملوا إلا عن العباد وما عرفوا إلا العباد. إن العباد كانوا لربهم في قربهم وبعدهم. إن العباد في حال تواجدهم مع الخلائق وهم لهم الحقائق احتفظوا بعلمهم لأنفسهم. إن الأنبياء تكلموا عن العباد بقسطهم من معروفهم عن الحق بهم في إدراك العبودية لهم وهم حقائق لهم من الله. إن العباد لهم علوم القرب والبعد، والوحدانية والتنزيه، وقيام العلم وعلم القيام.

إن العبودية حقيقة أما النبوة فخليقة في عالم كسب. فمحمد حق بعبوديته وخلق بنبوته. إنه بحقيته يجدد خلقيته، ويكثرها علماء عن حقيته، أنبياء بالعلمية عليه معلوما لهم بحقيته من عبوديته.

إن آدم عند الله عبودية بظاهره وبباطنه وقد تلقى ظاهره من باطنه كلمات هي الكتب والرسالات والأنبياء، وهذا أمر فيه ينفعل به هو من صفاته ومميزاته. فظاهره عبودية باطنه، وباطنه عبودية الله وربوبية ظاهره. فإذا تكاثر ظاهره إلى قديم معناه تكنز بجديد معناه، والتحق المتكنز بقديم معناه من العبودية لله متوحدا مع قديمه، فهو عبودية الله الصمدية بلا تعدد وبلا توقف. وإلى هذا سار محمد فصار خاتم النبيين ليكون أول العابدين في عالم الظاهر من الخلق، ظاهرا لباطن من العبد من الحق، فهو بذلك الحق جاء الخلق، ليصبغوا به يوم يدعون باسمه ظاهرا له من باطنه باطنا لهم، ووجودا له.

ولكن الناس التووا حتى في خطاب الرسول لهم على قدر عقولهم، كما التووا في خطاب الله موجَّها إلى قلوبهم وعقولهم ونفوسهم، ففيه ما وجه إلى قلوبهم وفيه ما وجه إلى عقولهم وفيه ما وجه إلى نفوسهم. فأخذوا ما وجه إلى قلوبهم بعقولهم، وأخذوا ما وجه لعقولهم بنفوسهم، وأخذوا ما وجه لنفوسهم بمعانيهم، وأخذوا ما وجه لمعانيهم بذواتهم، وتركوا ما وجه لقلوبهم بقلوبهم. أساءوا السبيل وما سألوا الدليل - وما قطعه عنهم - ما طلبوا العلم به. فما حرمهم العالم به أبدا دلهم عليه ما طلبوا

الباب. وما جهله أبدا ولكنهم ما طرقوه. وما أغلقه أبدا ولكنهم ما ولجوه. ما فرقه دونهم أبدا ولكنهم في أنفسهم ما أحسوه.

إن الله هو الله. وصفات الله هي صفات الله. ولكن الناس أيضا هم الناس. خلقهم على ما خلقهم من النسيان بحكمته، وأرادهم لما أرادهم عبادا بمنته. وخيرهم على ما خيرهم رضوانا بقدرته.. وهداهم على ما هداهم كتابا بفضله ورحمته.

الناس يتواصون، ويتعادون، ويتخاصمون، ويتجادلون، ويتواءمون، ويتوادون، ويتآلفون، ويتوحدون، ويتفرقون، بحكمة الله وبمراد الله. ويتأدبون ويكفرون بحكمة الله على مراد الله. خلقهم منهم، وهديهم بهم. يصطفي منهم من يشاء لما يشاء.

فهل تواصينا على هذا فأدركنا ما يقع اليوم في الأرض، ورأينا الناس وهم يتصارعون عليها ويتقاتلون على تراثها فيقتل الأخ أخاه، فاخترنا لنا سبيلا مع القاتلين أو المقتولين؟ إن أدركنا اخترنا أن نكون مع القتلى لا مع القاتلين الظالمين لأنفسهم.. اخترنا أن نكون مع الثكلى نواسي الثاكلين بقلوبنا، وبجوارحنا، وبعقولنا، وبأرواحنا، وبدعائنا، وبإمكانياتنا.. اخترنا أن نكون في قضية القتلى، وللقتلى مستنصرين، وللظالمين والقاتلين مخاصمين مقاومين بقلوبنا، وبعقولنا، وبنفوسنا، وبأيدينا.. لا حاقدين ولا متعالين ولكن الله لهم راجين أن يهديهم إلى ما هدانا وأن يجمعهم وإيانا في معناه ظاهرا في معنانا برحمته، حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى قلوبهم، فترتد عن القتل أيديهم وتغمد عن العمل أسلحتهم.

نحن جنود السلام في الدخول في سلام مع الله راجين منه أن يرزق هؤلاء الذين شردوا من السلام معه في أنفسهم إلى ساحة السلام فيه في قلوبهم. فلنكن قلوبا راجية لا واجفة. ولنكن قلوبا خاشعة لا خائفة. ولنكن قلوبا صافية لا زائفة. فلنكن قلوبا عاملة ضارعة لا آلات جارفة. ولنكن عقولا مستيقظة ونفوسا متفتحة حتى نكون قوالب لملكوت الله مستجيبة، وفي ملكوت الله عاملة حية مجيبة.

هذا ما نحن على ما نرجو، وهذا ما يطلب إلينا اليوم بنداء الروح، بنداء الله، بنداء الإنسان. ينادينا من أعماقنا، ينادينا من أنفسنا، ينادينا من قلوبنا، ينادينا من عقولنا، ينادينا من ذواتنا، ينادينا من معانينا، يحدثنا من ألسنتنا، يسمعنا من آذاننا.

هلا لبيك؟ هلا لبيك اللهم لبيك فينا؟ هلا لبيك في معانينا؟ هلا لبيك في أوانينا؟ هلا لبيك في حاضرنا؟ هلا لبيك في آمالنا، ونفوسنا، وحياتنا، وبيوتنا، وأزواجنا، وأولادنا، وآبائنا، وذرارينا؟ هلا

لبيك؟ هل تحققت هذه الإنسانية قبل هذا النداء بهذا النداء؟ هل لبت الإنسانية يوم طلب منا ملبٍ، تلبية غير هذه التلبية؟ إن هذا النداء هو الذي استجاب له في قديم الأنبياء فلبوا. ونادوا به في أممهم فلبوا. أذَّن لهم الإنسان من أنفسهم فصلوا. وأذنوا للناس من أنفسهم مبعوثين في أنفسهم بالصلاة فصلوا.. فكان الصلاح، وكان الفلاح، وكانت الصلاة صلة، وكان الفلاح نجاحا. الجنة عرَّفها لهم فجوها وحضرة الله في قلوبهم لبوها. ولكنهم وقد أمروا أن لا يخاطبوا الناس إلا على قدر عقولهم كتموها، وما أشهروها. وقالوا إنها سر به لا يباح، وإن الذين يبوحون بالسر دماؤهم تباح. فأباح الناس دماءهم كلما نادوهم أو عن الحق في باطن الخلق دركوهم.

ولكن السماء اليوم تجدد هذا النداء عاما، وتطلب هذه التلبية عامة تعرف ملكوت الله بين جوانحكم يقوم، وتكشف لكم الغطاء عن أنفسكم، وتغير ما بكم إن غيرتم ما بأنفسكم.

أبناء الله.. عيال الله.. لبوا نداء الله.. فالله في أصولكم والله في فروعكم، والله فيكم فلا تسوفوه لكم، ولا تؤجلوا ملكوته لكم، ولا تتوهموه في ماضي لكم أو تتوهموه في مستقبل لكم فتفقدوه في حاضركم.

إن الله الذي هو أقرب إليكم من حبل الوريد ومن ورائكم محيط ومعكم أينما كنتم، إنما هو الذي يناديكم اليوم من أعماقكم لتلبوا النداء فتشرفوا بنعمة العطاء، وتعرفون الباب فتطرقون به أبواب قلوبكم فتدخلون المدينة وتركبون فيها القوارب والسفينة.

هذه هي معاني القرآن ومغانيه، ومعارج الدين ومراقيه، فنسأل الله أن يجعل لنا منها نصيبا، وأن يجعل تحقيقها لنا قريبا، إنه نعم المولي ونعم المجيب، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم جنبنا الفرقة والخصام وارزقنا الألفة والوئام، وأنزل على أرضنا السلام وعلى قلوبنا السكينة والوئام. اللهم اجعل لصلاتنا بك صلة لا تنقطع. اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا، ولا تعاملنا بما فعل السفهاء منا. اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، وأقمنا في فعل الخير، والقنا فيك عباد خير علي ما أردت.

اللهم اجعل رجعنا إليك. اللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى. وأقمنا فيما تحب وترضي. ويسر لنا سبيل ما تحب وترضى، والقنا على ما تحب وترضى ممن أحببت ورضيت، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك يا سميع يا قريب يا مجيب.

اللهم قوم سبيلنا واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

(لا يمكنني أن أحل مشاكلكم. لو أخبركم بما تعملونه لتداخل ذلك مع إرادتكم المطلقة. إذا بدأت مرة في إخبار وسيطي عما يجب عمله، وعما لا يجب، فهذا هو نهاية إرادته المطلقة.. وعندئذ يبدأ تقدمه في التخلخل.

لقد سكبت الدموع في بعض الأحيان لأني رأيت المقاساة، وعرفت أنه يجب علي عدم المساعدة. ذلك هو القانون. لقد آلمني أكثر مما آلم المقاسي...

من هدى السيد الروح المرشد سلفر برش

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الرحمن – ٢٦، ٢٧

٢ سورة الناس – ١، ٣

٣ سورة طه - ٥٠

٤ سورة المائدة - ٢٧

٥ حديث شريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.

٦ سورة الكوثر- ٢

٧ سورة الكوثر - ١

٨ سورة الكوثر - ٣

٩ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

١٠ سورة آل عمران - ١٨

١١ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} سورة الحج - ٨